

مختارات من أشعار مارينا تسفيتايفا

■ اختيار وترجمة : د. ثائر زين الدين. ■

-2-

أيها الشبخ الرقيق
أيها الفارس العزيز النفس
أراك تقف في الضباب الرمادي
بثوبك الثلجي الطويل.
لا ليس ريحا
هذا الذي يتبعني في طرقات
المدينة؛
فللمساء الثالث
أحس بوجود عدو ما.
هاهو طائر النم الثلجي
يفرش تحت قدمي بساطا من ريش؛
الريش يحلق،
ويهدوء بنغرس في الثلج،
وعلى متنه أطيرو نحو باب
يقف خلفه الموت؛
موت يُعني لي،
من خلف شبابيكه الزرقاء،
يعني لي
بأجراس تهتف من بعيد..
بصرحات طويلة...
ويدعوني
وبصیحات النم.
أيها الشبخ الرقيق
أعلم أنني إنما أرى حلمًا،

إلى بلوك (1).

-1-

اسمك - طير في راحة اليد.
اسمك - قطعة تلج على اللسان.
ارتعاشه شفة.
اسمك - خمسة حروف،
كرة في الهواء تلتقطها اليدان.
جرس فضي ناعم في الفم.
ربما كان لحجر يسقط في بركة هادئة
أن يُصدر صوتا مشابها لاسمك،
ووسط القرع الخفيف لسنايك الليل
يقصف اسمك كالرعد،
وقد يُذكرنا باسمك صوت
ارتداد زناد مُسدّد للصدع.
اسمك - آه يجب أن أتوقف!
اسمك - قبلة في العين
في جفن ناعم، بارد، وثابت.
اسمك - قبلة في الثلج
جرعة باردة صافية من رأس النبع.
ومع اسمك يمتد حلم عميق.
١٥ نيسان ١٩١٦.

٢٢ تشرين ثاني ١٩١٨ .

(.....)

لم أعد أريدك يا عزيزي-
ليس لأنك لم تكتب لي
مع أول بريد قادم
وليس لأنك ستحاول -سأخراً
فهم هذه السطور- المكتوبة
لك بكثير من الألم
(السطور التي كتبها وحدي
- للمرة الأولى- لك وحدك
والتي ستحاول فك رموزها-
غير وحيد).
وليس لأن خصلات شعرها
ستلامس خديك أثناء ذلك-
فأنا أيضاً أستطيع القراءة بصحبة
أخر!
وليس لأنكما معاً
ستزفران. بشدة، وأنتما تتحنيان
فوق مفرداتي الغامضة.
وليس لأن أجفانكما ستسترخي
وتتعلق بدعة وسلام؛ فالخط
صعب
والرسالة- لسوء حظكما-
قصيدة!
لا ياصديقي فالمسألة أبسط من
ذلك

وأكثر أهمية من الشعور
بالأسف؛
لم أعد أريدك- لأنني
لأنني-
لم أعد أريدك!
٣ كانون أول ١٩١٨ .

حدثينا عن الحب

- حدثينا عن الربيع!
قال الأحفاد للجدّة.
فهزت العجوز رأسها ثم أجابت
- خاطئ هو الربيع
رهيب هو الربيع!
- حدثينا عن الحب
عن أجمل ما في الدنيا. عني

فاصنع لي معروفاً:

اختف.. أمين
أمين... أمين.

١ أيار ١٩١٦ .

للوحنش- مغارة
للغريب- طريق
للميت- نعش
ولكل - ماله
للمرأة أن تخذع
للقبصر - أن يحكم
ولي- أن أمجد اسمك

٢ أيار ١٩١٦ .

-4-

ها هو ذا -انظر- متعب من
العربة،

ز عيم بلا أتباع.
ها هو ذا -..... من مياه
الجدول-

أمير بلا وطن.
هناك كل شيء له: إمارة، جيش،
خير وأم.
جميل، إرتك أيها الوريث
يا صديقاً بلا أصدقاء.

١٠ آب ١٩٢١ .

(.....)

سعيدة أنا؛ أن أعيش مثلاً،
وببساطة:

كشمس-كنواس- كنتقويم.
أن أكون كمنصوفة راقية،
ممشوقة القامة،
وحكيمة ككل ما خلقه الله.
أن أعرف: تلك الروح- التي
ترافقتني

والروح- التي تقودني
وأدخل في الأشياء دون مقدمات،
كشعاع، كنظرة.
وأعيش هكذا... كما أكتب:
باختصار، ومثلاً للآخرين-
كما يريد الله؛ وكما لا يريد
الأصدقاء!

برجل واحدة!
لأنني سأعني لك-كما لا يفعل
أحد
سأخطفك من كل الأزمنة؛ كل
الليالي،
كل الرايات المذهبة، كل
السيوف،
وسأرمي المفاتيح، وأطرز الجراء
من مدخل بيتي
فأنا أكثر منها إخلاصاً في الليلة
الشتوية.
سأخطفك من الجميع- من هذه
وتلك
ولن تكون زوجاً لأحد- ولن أكون زوجاً
لأحد.
وفي العراك الأخير سأخذك
من الذي وقف يعقوب بين يديه
في الليالي.
ولكنني مالم أصلبك على صدري
-يالعتني- فسيبقى جناحك
مُسرعان للطيران؛
لأن العالم مهديك، وقبرك العالم.
١٥ آب ١٩١٦

(.....)

يعجبني: أنك لست مريضاً بي،
يعجبني: أني لست مريضة بك،
أن هذه الكرة الأرضية الثقيلة
لن تسبح تحت أقدامنا في يوم من الأيام.
يعجبني: أن بإمكانني أن أكون
مضحكة،
مستهترّة، فلا أتلاعب بالألفاظ،
ولا أتضرج بالخمرة حين
يتلامس برفق ذراعانا
يعجبني أيضاً: أنك بحضوري،
وبكثير من الراحة
تضمم إليك امرأة أخرى،
ولا تُعذني بنار جهنم
أحترق فيها لأنني لا أقبلك
يعجبني: أن اسمي العذب
ياصديقي الطيب.
لا يخطر على بالك لا في النهار
ولا في الليل.

الأحفاد
فحدقت العجوز في الموقد
ثم أجابت: - أخ
خاطي هو الحب
رهيب هو الحب!
وطويلاً - طويلاً حتى الشروق
كانت البراءة تُعني في ساحة
الدار:
- خاطي هو الحب.
رهيب هو الحب.

١٩١٩.

هويّة

بعضهم من حجر، وبعضهم من
طين
أما أنا فأضيء وألتمع كالفضة!
عملي - هو التحول، واسمي
مارينا(٢).
أنا -زبد بحري متحول.
بعضهم من طين، وبعضه من
جلد-

ولهؤلاء قبر وشاهدة
أما أنا ففي مغطس بحري تعمدت
وفي طيراني نحو الشاطئ أتكسر
باستمرار.

ما من شيء يقف في طريق
إرادتي،

إنها تُعبر الشباك والقلوب.
أتظن بإمكانك أن تجعل مني
ملحاً أرضياً؟-

لعلك لا تنظر إلى خصلات شعري المجعدة
الكثيفة؟

مُتكَسرة عند ركبكم الغرائبية-
أنبعث مع كل موجة جديدة.
فليحيا الزبد - الزبد المرخ
الزبد البحري العالي

٢٣ أيار ١٩٢٠

(.....)

سأخطفك من كل البلدان، كل
السموات؛
لأن الغابة مهدي، وقبري الغابة!
لأنني أقف على هذه الأرض-

■ مختارات من أشعار مارينا تسفيتايفا ■

لديك قصورٌ - وقاعات
ولديه غاباتٌ - وصحار
لديك كتائبٌ - وعساكر
ولديه رمالُ البحر.

اليوم ننتزه في البحار معاً
وغداً في الغابة مع الذئب
في كل ليلةٍ - لدينا فراشٌ جديد؛
اليوم من رملٍ، وغداً من
حجارةٍ!
وهكذا - أيها السيد - إن أحب
صديقي
فكي يعمّ النورُ الدنيا؛ كما في
عيد الفصح.
اليوم البدرُ قنديلنا
وغداً النجومُ مصابيحنا

كانَ فارساً يحسدهُ الناس.
كانَ ضيفاً لطيفاً
وحين رأى عيني
ترك جيشه وأتاني.
١٠ تشرين ثاني ١٩١٨.

وأثمم لن يُرددوا فوقَ رؤوسنا
وفي هدوء الكنيسة: هللوا!
شكراً لك قلباً ويداً؛
لأنك -ورغم جهلك بذلك-
ثُحيتي
شكراً على هدوء الليالي
على قلة لقاءاتنا في ساعات
الغروب.
على نزاهاتٍ في ضوء القمر...
ما قمنا بها.
على شمس لم تقبل رأسينا معاً.
شكراً لأنك -يالأسف- لست
مريضاً بي
ولأني -يالأسف- لستُ مريضةً
بك.

٣ أيار ١٩١٥

(.....)

لا، معك يا صديقي المدهش
لن أقتسم أوقات فراغي؛
فلدي الآن صديقٌ جديد
صديقٌ جديد.. صديقٌ جديد!

□□

□ الهوامش:

- ١ - هو الشاعر الروسي الشهير ألكسندر بلوك (١٨٨٠-١٩٢١)؟
- ٢ - لاسم (مارينا) ولكلمة (بحر) جذرٌ واحدٌ في اللغة الروسية.
والشاعرة مارينا تسفيتايفا واحدة من أشهر الشاعرات الروسيات، ولدت في موسكو
١٨٩٢ وعاشت كما كتبت ذات يوم "كما يحب الله- ولا يحب الأصدقاء"، وأنهت
حياتها منتحرةً في قرية روسية صغيرة سنة ١٩٤١، بعد عودتها إلى الاتحاد
السوفيتي. هذه القصائد مختارة من أعمالها الكاملة، طبعة أشخباد، تركمنستان،
١٩٨٦، ص (٧١-٧٢-٧٣-٧٤-٧٥-٧٧-٧٨-٧٩-٨٠-٨١-٨٢-٨٣-٨٤-٨٥-٨٦-٨٧-٨٨-٨٩-٩٠).

□□□